Journal of the University of Babylon for Humanities مَجلّةُ جَامعةِ بَابِل للعُلومِ الإنسَانيّة
Vol.32 / No.12/ 2024 المجلد 32 / العدد 12/2024

مظاهر التحاور وآليات الحجاج في كتاب "لا تحزن" لعائض القرني

آيات بنت حمد الخالدي

قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة الإمام عبدالرحمن بن فيصل/ المملكة العربية السعودية

aykhaldi@iau.edu.sa

تاريخ استلام البحث: 7/ 2024/10 تاريخ قبول النشر: 17/ 2024/10 تاريخ نشر البحث: 29/ 12/ 2024

المستخلص

يهتم هذا البحث بدراسة مدوَّنة (لا تحزن) لعائض القرني؛ بوصفه خطاباً حجاجيًّا اعتمد الإقناع والتأثير؛ ولكن قبل استجلاء الحجاج قادتنا مسألة ضبط الجنس الأدبي إلى إعادة النَّظر في المدوَّنة فحصا واختبارا؛ لننتهي إلى أنه يمكن تنزيل (لا تحزن) في إطار الوصايا جِنسا أدبيا له مقومات تخاطبيَّة حجاجيَّة، تحققت فيها بعد استحصال القرائن وممكنات التجنيس، وانتقلنا بعد ذلك لتتبع مظاهر التَّحاور في المدوَّنة؛ بوصفها موجهات تحاوريَّة، تفعّل الكفايات التَّواصليَّة بين أطراف التَّحاور، وتصنع المقدمات الحجاجيَّة، ورصدناها على ثلاثة مستويات، ثم انتقلنا إلى ضبط الآليات الحجاجيَّة وفق اتجاه "بيرلمان" للحجاج، وقد كان الحجاج تابعا إلى الفعل الطلبي "لا تحزن"، واقتضاء من مقتضيات طلب الكف عن الفعل؛ وقد كانت كثافة الحجاج في الخطاب، وتنوُّع آلياته، لا تساند فقط أفعاله التَّوجيهيَّة التَّحاوريَّة الخاصة، وإنما هي دائرة واحدة ابتدأت من فعل وانتهت إليه (لا تحزن)؛ وبهذا يلتئم الاستدراج والإقناع؛ لتنغلق بهم دائرة الخطاب في إثبات النهي (لا تحزن)، بعد ضمان تحويل المواقف وتبديل التصورات.

الكلمات الدالة: الوصايا، التَّخاطب، الموجهات اللُّغويَّة، بيرلمان، الإقناع.

Dialogue Manifestations and Argumentation Mechanisms in Aidh Al-Qarni's Book *Do not be Sad*

Alkhaldi , Ayat Hamad H

Department of Arabic Language/ College of Arts/ Imam Abdul Rahman bin Faisal University/ Kingdom of Saudi Arabia

Abstract

This research addresses Aidh Al-Qarni's DO NOT BE SAD as an argumentative discourse, through persuasion and influence. It encouraged us to conduct deep examination. The findings revealed Al-Qarni's Blog can be considered commandments as a literary genre with communicative and argumentative characteristics, achieved after obtaining evidence and possibilities of genre characterization. It traced the dialogue aspects, as interactive dialogue references, promoting communicative competencies between the dialogue parties, creating argumentative introductions, and identifying three levels. Controlling the argumentative methods was examined according to Perelman. Argumentation in Al-Qarni's Blog was subordinate to DO NOT BE SAD, and one requirement of others to stop an action. The dense arguments and diverse methods support its dialogue directive actions, serving as one circle that began and ended an action DO NOT BE SAD. Combined influence and persuasion close the circle of discourse, proving prohibition DO NOT BE SAD, while ensuring positions and perceptions are changed.

Keywords: Commandments, Communication, Linguistic Guidelines, Perelman, Persuasion**.**

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

1. المقدمة

لما كانت مدوَّنة (لا تحزن) خطاباً حجاجيًّا، وكانت غاية البحث استجلاء هذه الهيئات الحجاجيَّة، استلزم الأمر النَّظر في تشكيلاتها التَّحاوريَّة التي شكلت سياقات التَّواصل، وحضنت فضاء التَّفاعل؛ لذا اهتم البحث بمجموعة من الإشكاليات الاستفهاميَّة، إشكالية تبحث في مسألة الجنس الأدبي للمدوَّنة؛ لنقف على مظاهر طبيعة انتظام الدَّورة التَّحاوريَّة بين المتكلِّم والمتلقي، مع الحرص على استجلاء جوازات التَّجنيس، وبيان أنظمتها التَّخاطبيَّة الحجاجيَّة.

وثاني الإشكاليات هي تتبع مشيرات التَّحاور في (لا تحزن)، بوصفها موجِّهات تحاوريَّة تأذن بالتَّفاعل، وتظريف المقامات القوليَّة ضمن أسيقة مقاميَّة تخاطبيَّة؛ بها يفعَّل التَّواصل، ويرسم آفاق المداخل الحجاجيَّة.

وثالث الإشكاليات يختص في استجلاء آليات الحجاج؛ وقد اختار البحث اتجاه (بيرلمان)؛ إذ غدا الحجاج مع (بيرلمان): « مؤسَّسة خطابيَّة قائمة على التَّحاوريَّة بين الخطيب/المحاج، موصولة بقيم إقناعيَّة..تؤثر في العواطف، وتفعل في العقول، عبر جملة من الآلات الخطابية، والسياسات القوليَّة التي يصرف إمكاناتها المحاج/الخطيب حسب المقامات، وبدوافع المقتضيات والأحوال، يقنع بها مخاطَبيه تأثيرا وعملا» [1:131]، وهذا ما أُسس عليه هذا البحث؛ إذ سيعمد استجلاء مظاهر التَّحاور، وآليات الحجاج، وأدوارهما التَّأثيريَّة الإقناعيَّة.

وهذا لا يعني أنَّ هذا الاتجاه هو من شكل الحجاج في (لا تحزن) فقط؛ فقد اعتمد المحاجُّ على الحجاج اللِّساني في بناء المواضع بناء حجاجيًّا ذا قوة إنجازيَّة إجرائيَّة فعَّالة في تشكيل الحجاج، واستثمر أيضا البلاغة في إخراج الحجاج مخرجا جماليًّا، يستقطب منها استدلالا على مستوى المجازات والمحسنات المعنويَّة، أو قيمة إيقاعيَّة تأثيريَّة على مستوى المحسنات اللفظيَّة، ولما كانت طبيعة الأبحاث تقتضي التَّركيز والتَّكثيف، اعتمدنا اتجاها واحدا فقط.

1. 1. خلفية البحث: لم أجد دراسة سابقة تناولت مدونة (لا تحزن) بدراسة علمية أكاديمية.

1. 2. منهج البحث: وعبر ما سبق يتضح أنَّ هذا البحث يتنزَّل في إطاره المنهجيَّة ضمن المقاربة الحجاجيَّة.

1. 3. أهمية البحث: وتأتي أهمية البحث في أنه بحث تطبيقي يحاول استجلاء الجانب الحجاجي لمدوَّنة (لا تحزن)، مع محاولة تجنيس هذه المدوَّنة تجنيسا أدبيًّا، وتقديم دراسة أولى -بحسب علمي- لهذه المدوَّنة التي حُررت بأسلوب أدبي جمالي يسعى إلى الجمع بين الإمتاع والإقناع.

وتأتي أهمية البحث في هدفه؛ إذ يهدف هذا البحث إلى تقديم دراسة تطبيقيَّة تستعين بالأدوات الإجرائيَّة؛ لتقارب نظرية ونصًّا مقاربة فاعلة تعزز المعارف المنهجيَّة من جهة بتطبيقات تتفتح على المعارف انفتاح يرسِّخ مفهوما ويحدِّد دلالة ويجلي تمثيلا.

2. كتاب (لا تحزن) مقاربة للجنس الأدبي

تصنَّف مدوَّنة (لا تحزن) كما جاء في بعض المواقع الإلكترونيَّة أنها من كتب مساعدة الذات، أو تنميتها، وإذا ما حاولنا النَّظر في مدوَّنة (لا تحزن) ضمن إطار الأجناس الأدبيَّة [2]؛ فعلينا النَّظر في مكونات الفعل الاتصالي وخصائصه:

- **المخاطِب:** عائض القرني-شيخ-أستاذ جامعي-مؤثر في وسائل الاتصال...".

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

- **المخاطَب:** «كتبتُ هذا الحديث لمن عاش ضائقةً أو ألمَّ به همٌّ أو حزنٌ، أو طاف به طائفٌ من مصيبةٍ، أو أقضَّ مضجعه أرقٌ، وشرَّد نومه قلق. وأيُّنا يخلو من ذلك؟!» [27:3].

- **موضوع الخطاب:** الوعظ والإرشاد لمخاطَب محزون.

ونضيف رغبة في تفحص مادة الخطاب؛ «هنا آياتٌ وأبياتٌ، وصورٌ وعبرٌ، وفوائد وشوارد، وأمثال وقصص...»[27:3]؛ وهذه الرغبة مردها المقاربة بين مادة الخطاب ومقومات الوصايا: «التَّمثّل بالأشعار والحكم والأمثال، والاقتباس من معاني القرآن، ...» [231:4]؛ وفي المقاربة تقريب مسافات، وتماثل أوجه.

إنَّ النظر في المقامات التَّواصليَّة نظرة متعمقة، في: طبيعة مقام المخاطب المتكلّم (عائض القرني)، والحالة النفسيَّة للمخاطَب المتلقي (المحزون)، ومقتضيات الغرض التَّواصلي، وطبيعة المادة التَّواصليَّة الحجاجيَّة التأثيريَّة ذات الطابع التوجيهي التحفيزي- تجعلنا نصنّف المدوَّنة كجنس أدبي في إطار الوصية؛ خاصة وأنَّ الوصية بوصفها بناء خطابيًّا يعتمد الحجاج: «طلبٌ يراد له التحقّق والإنجاز، وهو طلب يتوسَّل له الموصي خططًا وإستراتيجيات مدبَّرة، ويعمد إلى أساليب يراها كفيلة بتحقيق ما ينشده» [95:5].

وأننا نظفر من المدوَّنة ببعض الإشارات التي تؤيد هذا التجنيس؛ إذ يقول: وقوله: «إنَّ من وصايا الآخرين لكلّ مثْقلٍ بالهمِ والحزنِ- أنْ يأمروه بالجلوسِ على ضفاف النهرِ... لكنْ وصايا أهل الإسلامِ، وأهلِ العبوديَّة الحقة :جلسةٌ بين الأذانِ والإقامة في روضة من رياضِ الجنَّة...»[330:3]، وقوله: «إننا نخطئ يوم نسرد على المستمعين كلَّ ما في جعبتنا من وصايا ونصائحَ، وتعاليم وسننٍ وآداب، في مقامٍ واحد...»[421:3]، وقوله: «إنها ثلاثُ وصايا تدلك على السعادةِ من أقربِ الطرقِ، ومن أيسرِ السُّبلِ، ولك أن تكتبها في مفكّرتك لتطالعها كلَّ يومٍ» [422:3].

وإذا ما رددنا هذه النَّتيجة لما ذكرناه أولًا في أنَّ المدوَّنة تم تصنيفها في المواقع الإلكترونيَّة ضمن إطار تطوير ومساعدة الذات[2]؛ فإن هذا لا يتناقض ومعاني الفعل اللغوي استوصى وتواصى[6]؛ إذ إنَّ الوصية بهذا المعنى: «قول يخترق الزَّمان والمكان، يتمثّل به الإنسان في مواضع الوصف، ويستشهد به لما فيه رفق وانتفاع، ويحرص على إفادة الآخرين به، ودعوتهم إلى العمل بما جاء فيه» [35:5].

3. مظاهر التحاور في كتاب (لا تحزن)

فرقت (روث أموسي) بين الحوار والتَّحاور، وبيَّنت أنَّ الحواريَّة الحجاجيَّة- هي التي تجري بين أطراف متحاورة معلومة، أمَّا التَّحاوريَّة الحجاجيَّة؛ فيكون الجمهور سلبيًّا أو محايدا أو افتراضيًّا [33:1]؛ لذا آثرنا توظيف مصطلح التَّحاور بدلًا من الحوار؛ لأنَّ جمهورها افتراضي، وحضورها غير مباشر عند الكتابة.

وبإمكاننا إجمال العلاقة التخاطبيَّة في الآتي:

المحاج /المرسل/المخاطب/ المتكلّم: عائض القرني؛ وهو يمتلك سلطة علميَّة-دينيَّة-اجتماعيَّة [7]، تخوله أن: «يفرض قيدا على المرسل إليه بشكلٍ أو بآخر، وإن كان القيد بسيطًا، أو أن يمارس فضولًا خطابيًّا عليه، أو أن يوجهه لمصلحته بنفعه من جهة أو بإبعاده عن الضَّرر من جهة أخرى» [83:8].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

المحجوج/المرسل إليه/المخاطَب/ المتلقي: متخيل مطلق، لكنه مستحضر بوصف الحالة النفسيَّة؛ وهذا ما يعطي الخطاب: « صبغته العامَّة، ويمنحه صفة الديمومة، ومناسبته لكل وقت، بما يمنح المرسل إنتاج الخطاب، والإبقاء عليه في مكان بارز؛ ليتجدَّد بمجرَّد ما يتلفظ به المرسل إليه عند إعادة قراءته» [84:8].

الموضوع: الجانب المأساوي من الحياة الحزن والكرب.

إذن التَّواصل بين أطراف الخطاب غير مباشر؛ والنَّاظر في بنية الخطاب سيجدُ أنَّ البنية الفاعلة هي بنية التحاور؛ بوصفها آلية فاعلة، تضمن توجيها يتفاعل معه المرسل إليه مع المرسل؛ بتوظيف آليات حجاجيَّة، تضمن تغير موقف، وتحصيل إقناع.

فكيف تشكل التَّحاور في (لا تحزن)؟ وما الأفعال التأثيريَّة المنجزة عنها؟

3. 1. عتبة العنوان عتبة تحاوريَّة أولى: شُكّل العنوان في (لا تحزن) تشكيلاً طلبيًّا، صيغة نهي (لا+ الفعل تحزن)؛ وفي الطلب يتحقق التَّحاور المتأصل فيَ النهي والطلب؛ وهذا المظهر التَّحاوري الأوَّل ينتج عنه تفاعل تواصلي بين المرسِل والمرسل إليه، ويصبغ الطلب صبغة توجيهيَّة تفاعليَّة، تحاور تحاورا أوليًّا، يستدرج على أثره المرسل إليه إلى مقامات حجاجيَّة، ودواعٍ إقناعيَّة.

ويتأتى التحاور في هذه الصيغة من أنَّها: «طلب ينبني على إرادة تلزم المخاطب بإيقاع الحدث أو تركه، وهو أقوى الأعمال الطلبيَّة، من حيث شدّة التوتر بين المتكلّم والمخاطَب...فهي صيغة مكثفة تختزل إسنادين: إسناد الطلب إلى المتكلّم، وإسناد الحدث المطلوب إلى المخاطَب» [185:9].

واستمدَّت هذه الصيغة قيمتها التأثيريَّة التَّواصليَّة من التناص من القرآن الكريم؛ الذي يستكمل معناه المتلقي استكمالاً ضمنيًّا:﴿ **لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾[التوبة/آية:40]،أو:﴿ **وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ**﴾[النحل/آية:127]، وقوله: ﴿ **وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ**﴾**[العنكبوت/ آية:33]**؛ وفي هذا توجيه حجاجي ضمني إلى معنى يبين القوَّة التي تتغذى منها الكتابة شريعتها الطلبيَّة، ونسقها الحجاجي، وهذه المرجعيات المقدَّسة تضمن للمتكلّم أن يطمس وجه الاستعلاء، وانتهاك حدود التَّهذيب مع المتلقي، وستكون ردَّة فعل الأخير التَّجاوب والتَّفاعل.

ولا تقف أهمية التحاور المرتسم في صيغة النهي عند هذا الحدّ، بل إنَّها عتبة تحاوريَّة أولى، على أساسها تتوالى النُّصوص استكمالاً للتَّحاور، واستدعاء للحجَّة، وتناميًّا لفعل الإقناع.

3. 2. عتبات العناوين الدَّاخليَّة عتبات تحاوريَّة ثانية: وهي: «العناوين المصاحبة للنَّص، كعناوين القصائد أو الفصول والأجزاء»[10: 273]. ومن ينظر في هذه العناوين الفرعيَّة- يجد أن أغلبها اعتمد فيه المرسل على الإستراتيجيَّة التوجيهيَّة؛ التي تعبر عن: «توجه المرسل إلى أن ينفذ المرسل إليه بعض الأفعال في المستقبل، وأنَّها تعبر عن رغبة المرسل أو أمنيته في أن يكون خطابه، أو في أن تؤخذ إرادته التي انطوى عليها خطابه، على أنَّها السبب الرئيس، أو الدَّافع الحقيقي في الفعل الذي سوف يأتي به المرسل إليه مستقبلا» [99:8].

وهذه العناوين التي صدَّر بها النُّصوص جاءت مقدّمات توجيهيَّة، ضمنت له تحاورا تخاطبيًّا تعاقديًّا، هيأ المرسل إليه عقلاً ووجدانا، فولد منها مباشرة أفعالاً حجاجيَّة دون تكرار هذه المقدّمة التَّوجيهيَّة؛ وهذا الاسترسال من المقدّمة إلى الحجاج؛ جاء تخفيفا لحدَّة التوجيه، وضمانا لاستجابة وطاعة المرسل إليه، ومراعاة لحالته

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

السوسيولوجيَّة، فبتكرار زيادة ضغط، وبالضغط نفور، وأنَّ المتكلّم المحاج لا يملك السلطة المطلقة التي تسمح له بممارسة زيادة التوجيه أو التَّشديد؛ فالكلام إذن: «مقادير توزَّعُ قسمة معدولة على الدواعي والحاجات؛ حتى لا يبطل مجراها، ولا يسقط سنام مغزاها» [1:116-117].

وتشكلت الأفعال التَّوجيهيَّة التَّحاوريَّة التي عبرها وُلد الفضاء الحجاجي، وصنع المؤثرات الإقناعيَّة، فيما سنعرضه في إطار جدول نحصيها، ونبين قيمتها التَّوجيهيَّة:

جدول 1:

الموجهات التوجيهيَّة	أشكالها في كتاب (لا تحزن) [3]
النهي	ومن الأمثلة على النَّهي:(لا تنتظر شكرا من أحد، لا تكن إمعة-لا تحزن ولا تيأس...) وقد كثر توظيف صيغة:(لا تحزن) باختلاف المدلولات المسندة إليه مستفيدا من تكرارها ركيزة حجاجيَّة توجيهيَّة، يرمي بها إلى تعميق هذه الصُّورة المخصوصة في ذهن المرسل إليه.
الأمر	وقد تعدَّدت أشكاله، وتنوَّعت صوره، وإن كان التنوُّع بحضور متفاوت؛ إذ نجد الأمر بصيغة: افعل، وقد شكل حضورا طاغيًا، من ذلك قوله:(فكر واشكر،اترك المستقبل حتى يأتي- اطرد الفراغ بالعمل-حسن ظنك بربك...)،إضمار فعل الأمر:(يومك يومك، الصلاة الصلاة)، وصيغة: لتفعل:(وليسعك بيتك-جاءت في هذا العنوان فقط-)،المصدر النَّائب عن الأمر:(فصبر جميل، رفقا بالمال، رفقا بالقوارير)، اسم فعل الأمر:(هيا إلى الصلاة، رويدا رويدا)، ألفاظ مخصوصة للوجوب:(تناول أمورك بهدوء).
التوجيه المركب: النهي والأمر	(لا تحزن وانتظر الفرج، لا تحزن واطرد الهم، لا تحزن واختر لنفسك ما اختاره الله لك، اطلب الرزق ولا تحرص...).
الاستفهام	(أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، ألم نشرح لك صدرك، كيف تشكر في القليل وقد قصرت في القليل، ماذا يفعل الحزن والهم والحقد).
التحذير والإغراء	ومن النماذج على التحذير:(إياك وأربعا-خذوا حذركم)، وجاء الإغراء في قوله: (يومك يومك).
ذكر العواقب	(من نتائج المعصية الوخيمة، وإليك بعض آثار الحزن، النَّاس عليك، لا لك، من خاف حاسدا، دعوة مظلوم، نصب المنصب...).
التحضيض والعرض	(ألا بذكر الله تطمئن القلوب).

ولعل صيغة النهي الصيغة الأكثر انتشارا في (لا تحزن)، يليها فعل الأمر، وهذا مرتكز من أهم مرتكزات التَّفاعل والتَّحاور والحجاج؛ إذ إنهما يستدعيان مطلوبا غير حاصل أثناء الطلب؛ فهما يقومان على إرادة تلزم المخاطب بإيقاع الفعل أو تركه [5:167].

ولا يقف الأمر عند حد توظيفهما منفصلين، بل نجد المرسل يفيد منهما في إطار التوجيه المركب؛ وهذا يفضي إلى استقطاب طلبي تحاوري مكثف، يستقطب النهي مع الأمر؛ ليعضد التوجيه، ويجتذب البديل؛ للدخول فيما بعد إلى مسار التَّبرير، وإقامة عوالم الاحتجاج والاستدلال؛ إذ يفيد من النهي والأمر المتراكبين في سياق واحد في أن «يعضد أحدهما الآخر، ويفسره، ويحدده، حيث يعمد المرسل بالأمر مثلا إلى تحديد المنهي عنه، أو تفسير قصد المرسل؛ وذلك لأنَّ قصد المرسل فيهما واحدا» [8:129].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

والاستفهام «أمر يريد به المتكلّم من المخاطب قولاً»[9: 186]، يسيطر به على ذهن المرسل إليه، ويسير الخطاب به وفق مقاصد المرسل[8:115]. ومن هنا يأخذ الاستفهام السمة التوجيهية التداوليَّة، وهي تتلاءم مع طبيعة التحاوريَّة المصطنعة المشكلة للخطاب في (لا تحزن)، صيغة موجَّهة من المرسل إلى المرسل إليه بصورة تحمل ضمنا استدراجا محاجًّا، يحصل بها إقناعا، والاستفهام كما هو معلوم في الدَّرس التداولي يدخل في إطارِ الأفعال التوجيهيَّة، كما نصَّ (سورل) [11:398].

وقس على هذا ما تبقى من الأفعال التوجيهية؛ إذ إن ما تتضمنه من سلطة رمزيَّة لغويَّة يستثمرها المرسل؛ ليصنع استجابات تواصليَّة تفاعليَّة، يصل بها التَّوجيه بعوالم الحجاج التي تقنع عقلاً، وتحول موقفاً يحقّق به طلبه التَّوجيهي الأوَّل (لا تحزن) إتماما واستكمالاً؛ فالخطاب يشتغل اشتغالاً سياقيًّا ارتداديًّا، يصل النُّصوص بوصفها بنية استجمعت أفعالاً حجاجيَّة، وصنعت دواعي إقناعيَّة؛ ليضاعف من قيمة فعله التَّوجيهي الأوَّل (لا تحزن) في إطار تكاملي تأليفي.

ونشير إلى أن هناك موجهات توجيهيَّة ضمنية، استبطنت معنى الطلب، والنَّظر من ذلك التَّوجيه بالتَّقويم، من مثل: (تفاؤل وتشاؤم)، و(العلم النَّافع والعلم الضَّارُّ)؛ وفي مثل هذا: «توجيه الطرف المقابل إلى فعل ما، وعمل ما، وليس هذا إلا نتيجة حتمية لتوجيه القول والمقول» [12:324].

ومنها أيضا التَّوجيه بواسطة تصدير الحجَّة القصصيَّة، من مثل:(سفيان الثوري مخدَّته التَّراب)، (كسرى وعجوز)؛ وفي هذا تضمين للفعل التَّوجيهي: استمع، أو خذ العبرة، أو غيرها من التأويلات الممكنة.

إنَّ ما سبق ما هو إلا مقدّمات حجاجيَّة، ومعطيات تداوليَّة، صنعت التَّحاور والتَّفاعل، وبنت التَّوجيه والطلب، ونشدت القيمة تأثيريَّة العاطفيَّة، والطَّاقة إقناعيَّة العقليَّة، بواسطة تقنيات حجاجيَّة، قصد بها المرسل تحقيق فعله التَّوجيهي (لا تحزن).

3. 3. الموجِّهات داخل الخطاب عناصر تحاور ثالثة: إذا كان الخطاب استهل على مستوى العنوان الرئيس أو العناوين الدَّاخليَّة بموجهات، ضمن داخلها التَّحاور، وتصريف القول بها إلى مقامات حجاجيَّة؛ فإننا نظفر إلى جانبها بأفعال توجيهيَّة داخل الخطاب نفسه، وهذه الأفعال ينجم عنها أدوار تحاوريَّة تخاطبيَّة، لها آثارها في استدراج المتلقين، ودفعهم إلى الاندماج في محيط القول استجابة وتفاعلاً، وتسعى إلى ربط المقدّمات بالتقنيات بالنَّتائج؛ حتى لا يختل الهدف، ولا يضطرب الحجاج، وهذه الموجهات لا تختلف هيأتها مع ما ضبطناه سابقا، هيئة لغويَّة، ووظيفة تأثيريَّة.

3. 4. التقنيات الحجاجيَّة في كتاب (لا تحزن)

قسَّم (بيرلمان) التّقنيَّات الحجاجيَّة إلى طريقتين: طريقة اتصاليَّة، وطريقة انفصاليَّة وصليَّة، ينضوي تحتهما تقنيات حجاجيَّة، سنعمد على رصد هيأتها في (لا تحزن)، واستجلاء قيمتها الحجاجيَّة في إصابة الإقناع، وإدراك اليقين.

- **الطرائق الاتِّصاليَّة:** هي «الطَّرائق التي تقرب بين العناصر المتباينة بدءا وفي الأصل، وتتيح إقامة ضرب من التَّضامن بينها لغاية هيكلتها؛ أي: إبرازها في هيكل أو بنية واضحة، أو لغاية تقويم أحد هذه العناصر بواسطة الآخر تقويما إيجابيًّا أو سلبيا»[13]،[14:324]، ومن أشكالها في (لا تحزن):

- **الحجج شبه المنطقيَّة:** وتستمد الحجج شبه المنطقيَّة طاقتها الإقناعيَّة، وقوَّتها التَّأثيريَّة، من زاوية مقاربتها

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

للطّرائق الشّكليَّة والمنطقيَّة والرّياضيَّة في البرهنة [13: 42]،[15: 191–192]، ومن نماذج الحجج شبه المنطقيَّة القائمة على البنى المنطقية: **حُجَّة التَّناقض وعدم الاتفاق**، وهذه التّقنيَّة تتشكّل في إطـار إماطة اللّثـام عن التّعارض في أقـوال الخصـوم [13: 44]، ومن صـورهـا في (لا تحزن): « **فكّر واشكر**، المعنى : أن تذكر نعم الله عليك، فإذا هي تغمرك من فوقك، ومن تحت قدميك :﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، صحَّةٌ في بدنٍ، أمن في وطن، غذاء وكساء، وهواء وماء، لديك الدنيا وأنت ما تشعر، تملك الحياة وأنت لا تعلم ...» [3: 33–34].

يبسط المحاجُّ تناقض المرسل إليه المحزون عبر المواجهة بصورة قسريَّة؛ بواسطتها يبرز عدم اتفاق الحالة النّفسية للمحزون، مع ما يرفل به من نعم حرم منها آخرون، ويدعم فعل المواجهة بواسطة ما يسمَّى (الأسئلة المغلقة)، التي يحاصر فيها المرسل إليه في إطار استنطاق الجواب، الذي يظهر تناقض الدعوى؛ إذ يقول: «هل هي مسألةٌ سهلةٌ أن تمشي على قدميك، وقد بترت أقدام؟! وأن تعتمد على ساقيك، وقد قُطعت سوق؟! أحقيق أن تنام ملء عينيك وقد أطار الألم نوم الكثير؟! وأن تملأ معدتك من الطعام الشهي، وأن تكرع من الماء البارد، وهناك من عكّر عليه...»[3: 33–34]، ويزيد من طاقتها الإقناعيَّة بواسطة استطراد استفهامي جدلي يقايض النّعم بنعم أخرى، ولكنها اتفقت في استجواب القناعات، وتبكيت الدعوى، وإقامة الدّليل والحجَّة، وهذا يتجلى في قوله: «أتريد في بصرك وحده كجبل أُحد ذهبا؟! أتحبُّ بيع سمعك وزن ثهلان فضة؟! هل تشتري قصور الزهراء بلسانك فتكون أبكم؟! هل تقايض بيديك مقابلَ عقود اللؤلؤ والياقوت لتكون أقطع؟! إنك في نعمٍ عميمة ...»[3: 34].

إذن كان الاستفهام أسَّ العمليات المحاجة في بيان التّناقض وعدم الاتفاق، وهو: «الوسيلة الأكثر استخداما في أية مواجهة إقناعيَّة تجري بين طرفين، وأداة المطارحة الكفيلة بمساءلة اعتقادات الآخر واستجواب قناعاته...»[16: 207].

ويأتي التوسع الحجاجي بالآيات القرآنيَّة؛ بهدف زيادة فعل المقانعة، وتكثيف الأدلة والحجج حُجَّة فاصلة على تناقض الدعوى.

ومن صور الحجج شبه المنطقيَّة القائمة على البنى المنطقيَّة **الحجج القائمة على العلاقة التَّبادليَّة**، وتستمد هيئتها شبه المنطقيَّة في احتكامها إلى تخريجات المتكلّم المحاجّ، وقدرته على جعل الأشياء المختلفة متشابهة متساوية، دون أي فروق بينها؛ ليمرر قاعدة العدل منطقًا وحجَّة [17: 151] مفادها أن:«الكائنات المنتمية للفئة الأساس نفسها يجب معاملتها بالطريقة نفسها»[18:144].

ومن نماذجها في (لا تحزن): «لا تحزن من فعل الخَلْق معك، وانظر إلى فعلهم مع الخالق، عند أحمد في كتاب الزهد، أن الله يقول :«عجبا لك يا بن آدم! خلقتك وتعبد غيري، ورزقتك وتشكر سواي، أتحبَّب إليك بالنعم وأنا غنيٌّ عنك، وتتبغَّض إليَّ بالمعاصي وأنت فقير إليَّ، خيري إليك نازل، وشرُّك إليَّ صاعد!! » وقد ذكروا في سيرة عيسى– عليه السلام– أنه داوى ثلاثين مريضا، وأبرأ عميان كثيرين، ثم انقلبوا ضدَّه أعداء» [3:134].

يستقطب المحاجُّ من الشّواهد الحجاجيَّة فعلًا قياسيًّا توجيهيًّا يحفّزه فعل الأمر "انظر"؛ ليترك المرسل إليه يصانع قياسا بين إساءة الخلق له، وبين إساءة الخلق للخالق! وكذلك إساءتهم للأصفياء من خلق الله!؛ ليصل الفعل بالنتيجة (لا تحزن) مقانعة عقليَّة، فمن أساء لمقام أعلى، وفي يده النَّفع والضَّر، كيف لن يسيء إلى من منهم دون ذلك

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

بكثير، وهذا الا ستنتاج تصفه (أوركيوني) بالقضية الضّمنيَّة، التي يستنتجها من القول، ويستنتج محتواها الجانبي بتركيب معلومات ذوات أوضاع مختلفة داخليَّة وخارجيَّة [117:19]، وبهذا يكون ملزما بها؛ لأنها من استنتاجه.

ويمكن التّمثيل للقياس بالآتي:

مقدّمة كبرى مذكورة: ما فعله الخلق مع المرسل إليه.

مقدِّمة صغرى مذكورة: ما فعله الخلق مع الخالق وبعض الأصفياء.

النَّتيجة غير مذكورة: عدم استقامة الحزن والكرب.

ومن الحجج شبه المنطقيَّة التي تعتمد البنى المنطقيَّة في (لا تحزن) **حُجَّة التَّعدية**، وهي تستمد منطقيتها ضمن إطار قياسي، يتشكل في أنَّ التَّعدية خاصية صوريَّة لعلاقة تُمكّن من المرور من إثبات وجودها بين طرف أوَّل وطرف ثانٍ، وبين هذا الطرف الثاني وطرف ثالث إلى استنتاج وجود العلاقة نفسها بين الأوَّل والثالث [149:18].

وهذه الحجَّة لها أشكال من العلاقات، منها: المساواة، ومن صورها قوله: «لا تحزن، فإنَّ الأيام دول، سجن ابن الزبير محمد بن الحنفيَّة في سجنِ "عارمٍ" بمكة، فقال كُثّير عزة:

وما رونق الدُّنيا بباقٍ لأهلَها وما شدَّة الدُّنيا بضربة لازمِ
لهذا وهذا مدَّة سوف تنقضي ويصبح ما لاقيته حلمَ حالمِ

وتأمَّلت بعد هذا الحدث بقرونٍ، فإذا ابن الزبيرِ وابن الحنفية وسجن عارمٍ كحلمِ حالمٍ:"﴿**هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا**﴾، مات الظالم والمظلوم، والحابس والمحبوس، كلُّ بطاحٍ من الناسِ له يوم بطوح»[3: 367–368]، يرسم المحاجُّ في حجَّة التَّعدية المساواة بين حاصل وآخر؛ إذ اقتضى فعله التَّوجيهي المسند إلى حجَّة خبريَّة مؤكدة أن يستتبعها ببرهان يستلزم الإقناع، فكما مات المظلوم والمحبوس، مات الظالم والحابس، فـ أ=ب وب=ج؛ إذن أ=ج؛ وهي النَّتيجة المفهومة والمقصودة؛ الأيام دول.

وقد تتشكل حجَّة التَّعدية بالتَّضمُّن «أنَّ قضية ما تتضمن قضية أخرى»[47:13]، من أمثلتها: «إنني أنهى نفسي ونفسك عن الحسد رحمةً بي وبك، قبل أن نرحم الآخرين؛ لأننا بحسدنا لهم نطعم الهمَّ لحومنا، ونسقي الغمَّ دماءنا، ونوزع نوم جفوننا على الآخرين. إنَّ الحاسد يشعل فرنا ساخنا ثم يقتحم فيه. التنغيص والكدر والهمُّ... يا للحسد من مرضٍ لا يؤجر عليه صاحبه، ومن بلاءٍ لا يثاب عليه المبتلى به...»[3:57–58].

صرَّف المحاجُّ الحجَّة على أساسٍ منطقي قياسي ضمني بين حال الحاسد ودوامة الهم والكدر والضجر والسَّخط، وبين حال المحزون الذي يتباكى سخطًا، ويشتكي ضجرا، وتستظهر نتائج القياس تساوي الأفعال وتماثل الواقع، ويمكن أن نمثّل لهذه العلاقة في الشّكل الآتي:

مقدّمة كبرى مذكورة: الحسد مرض مزمن.

مقدِّمة صغرى مذكورة: التمادي في السَّخط والضجر والحزن.

النَّتيجة: نظفرها تعدية ضمنية قياسيَّة؛ قد يصبح المحزون حاسدا.

وبواسطتها حجَّة التَّعدية ينتج المرسل علاقة جديدة بين: "أ " و"ج"، استنادا لعلاقة: "أ" بـ "ب"، وعلاقة "ب" بـ "ج".

وهي النَّتيجة المقصودة في إقامة الحجَّة على المحزون توجيها وتحذيرا؛ لذا نجد أن المحاجَّ يستتبع استكمال المعنى مناصحة وتحذيرا؛ إذ يقول فيه: «فأنهاك أنهاك عن الحسد، واستعذ بالله من الحاسد؛ فإنه لك

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

بالمرصاد»[3: 134] ، وفي هذا النهي والأمر تنزيه وتحصين للمرسل إليه، وبه تتعين نجاعة الخطاب الحجاجي، وتتقوَّى على أثره العمليَّة الإقناعيَّة.

وقد تتشكل العلاقة في حجَّة التَّعدية على أساس علاقة التَّفوق، وهي علاقة: «تستخدم عادة في المقارنة والمفاضلة، نحو: أفضل من، وأكبر من»[17:162]، ومن الشواهد عليه: «الرِضا غنى وأمن. ومن ملأ قلبه من الرضا بالقدر ، ملأ الله صدره غنى وأمنا وقناعة، وفرَّغ قلبه لمحبَّته، والإنابة إليه، والتَّوكل عليه. ومن فاته حظُّه من الرِضا، امتلأ قلبه بضد ذلك، واشتغل عمَّا فيه سعادته وفلاحه؛ فالرِضا يفرِّغ القلب لله، والسخطُ يفرِّغ القلب من الله، ولا عيش لساخط، ولا قرار لناقم، فهو في أمر مريج، يرى أنَّ رزقه ناقص، وحظُّه باخس، وعطيَّته زهيدة، ومصائبه جمَّة، فيرى أنه يستحق أكثر من هذا، وأرفع وأجلَّ، لكن ربَّه – في نظره – بخسه وحرمه ومنعه وابتلاه، وأضناه وأرهقه، فكيف يأنس، وكيف يرتاح، وكيف يحيا؟ ":﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**﴾»[3:388].

تأسَّست الكتابة الحجاجيَّة على مقدّمة خبريَّة، مفادها "الرضا أمن وقناعة"؛ لينتقل من الإخبار إلى الحجاج معتمدا بناء تقابليًّا مقارنا، قارن فيه بين الرِضا والسَّخط، وما تضمنه من غايات تقويميَّة، استتبعت قيما، وألزمت نتيجة على أساس منطقي، قوامه تفوق قيمة الرِضا على السَّخط، وقد حرص المرسل على أن يشكّل لغة الحجاج تشكيلا لغويًّا، يوجه المرسل إليه توجيها يسعى به إلى الخروج بقناعة واحدة؛ وهذا يتجلى عبر توظيف استفهامات متوالية، جاءت ختاما واستتماما للنَّتيجة، وإقامة للحُجة على المرسل إليه؛ ليغلق دائرة الحجاج بآية قرآنية تتوج الحجَّة المنطقية بحجَّة مقدَّسة، تضفي شرعيَّة للحجة المنطقية، وتزكيها إثباتا وإعلاء، ولعلَّ التوازي الإيقاعي بين الجمل له دور تأثيري بقدرة إجرائيَّة حجاجيَّة مدارها: «انبناؤه على تناغم الأجزاء، وتآلفها، وتفاعلها، وانتظامها فيه انتظاما تركيبيًّا ودلاليًّا»[20: 113]. وإذا ما انتقلنا إلى الحجج شبه المنطقيَّة التي تعتمد العلاقات الرياضيَّة أو الأوزان والمقاييس والاحتمالات؛« تشكّل المقارنة حجة شبه منطقيَّة حين لا تسمح بإجراء وزن أو مقياس فعلي يستعمل نظاما من الأوزان والمقاييس؛ غير أن أثرها الحجاجي يتشكل مع ذلك، من تضمُّنها لفكرة أنَّه يمكن عند اللزوم تعزيز حكمنا بعملية تفحُّص»[18: 155] ومن أشكالها **حُجَّة إدماج الجزء في الكلِّ**، وهي تسمَّى أيضا بـ (حجة الاشتمال)،[17:166] وتنهض على مبدأ :«ما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء»[13:47]، و من الشواهد عليه في (لا تحزن) : (تعزَّ بالمنكوبين) [3:376].

وتتجلى هذه الحجَّة الرياضيَّة في وصل حزن المرسل إليه بمشاهد المنكوبين، والوصل والتعزي ينهض على إستراتيجيَّة تستدرج المرسل إليه؛ ليقايس حزنه بنكبات معينة اختارها للمرسل إليه اختيارا مقصودا، وبناها بناء لغويًّا مؤثرا وصل مشهد المنكوب قبلا وبعدا مستثمرا: الآيات القرآنيَّة، والأبيات الشعريَّة، والمؤشرات التَّوجيهيَّة الاستفهاميَّة، ومكملا المشهد بآثار قصصية أخرى، تختلف أزمنتها، وتتفق في حدثها؛ ليصل إلى مقصد، مفاده: لم تكن بحزنك واحدا مفردا، بل الحزن سنة في الملأ، فما جرى على الملأ سيجري على الفرد؛ وبهذا يطمئن المرسل إليه قلبا بعد أن صدق عقلا؛ سيما كما ذكرنا أن المرسل إليه حرص على الإقناع وفق مشاهد كانت بعضها مروعة؛ ولعلَّ الترويع يتناسب مع الفعل التَّوجيهي (تعزَّ)، ولم يقل: "تصبر"؛ إذ تشمل الأوَّل على معنى التصبر والسَّلوى والمواساة [6].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وللمقابلة بوصفها محسنا معنويا له: «حركة ذهنيَّة، لا تدرك إلا بانتقال الذّهن من طرف إلى طرف مقابل»[21: 26] دور في بناء مفعولات الحجاج على مستوى صناعة المشهد وخلق الشعور.

ومن صور أشكال الحجج الرياضيَّة أيضا **حُجَّة تقسيم الكلّ إلى أجزائه المكوِّنة له**، ويطلق عليها أيضا: "حجَّة التقسيم أو التوزيع" [48:13]، وينصُّ مفهومها على تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له، واستجلاء أنَّ حكما ما ينطبق على كلّ جزء من أجزائه، ينطبق تبعا لذلك على الكل، والصبغة الرياضيَّة البادية عليها لا تعدو أن تكون شبيهة بالمنطق؛ لأنَّ الأجزاء لا تمثّل كل الحالات، ولا تعبر بدقة عن الكل[207:15]، ومن نماذجها قوله: « اشكر ربَّك على نعمة: الدين، والعقل، والعافية، والستر، والسمع، والبصر، والرزق، والذرية، وغيرها»[517:3].

إنَّ الاعتماد على التفريع، واستبعاد خيار الإجمال ما هو إلا حجَّة استثمرت التقسيم الرياضي؛ لتكثيف الطلب التوجيهي وتنويع مسنداته؛ إحكاما للبناء الحجاجي، ومضاعفة لفعل القناعة، وتحصيلا للنجاعة.

ونلحظ أن المحاجَّ لا يقفل الحُجَّة، بل يجعل مداها مفتوحا بقوله: "غيرها"؛ وفي هذا مقتضى تداولي يفتح التأويل، ويثري فعل الإحصاء، ويزيد من إمكانات الحجاج؛ فالحجَّة إذن فضاؤها مفتوح؛ لمقاصد حجاجيَّة تؤكد على الاشتغال بالنعم بعيدا عن تعاطي الحزن.

من أشكال الحجج شبه المنطقيَّة التي تعتمد العلاقات الرياضيَّة **الحُجَّة القائمة على الاحتمال**، يربط هذا النَّوع الحجاجي: «بين الواقع والمحتمل، ويؤسس على المحتمل حكما واقعيًّا، يكون بمثابة الدَّعوى التي يحتج لها ويدافع عنها» [190:22].

«لا تحزن، وأسأل نفسك هذه الأسئلة عن يومك وأمسك وغدك، أغلق الأبواب الحديديَّة على الماضي والمستقبل، وعش دقائق يومك:

١ .هل أقصد أن أؤجل حياتي الحاضرة من أجل القلق بشأن المستقبل، أو الحنين إلى "حديقة سحرية وراء الأُفُق"؟

٢ . هل أجعل حاضري مريرا؛ بالتطلع إلى أشياء حدثت في الماضي، حدثت وانقضت مع مرور الزمن؟

٣ .هل أستيقظُ في الصباح، وقد صمَّمت على استغلال النهار، والإفادة القصوى من الساعات الأربع والعشرين المقبلة؟

٤ .هل أستفيد من الحياة إذا ما عشت دقائق يومي؟

٥ .متى سأبدأُ في القيام بذلك؟ الأسبوع المقبل؟ .. في الغد؟ .. أو اليوم؟» [158:3].

ينتقل المحاجُّ من التَّوجيه الطلبي الأوَّل "لا تحزن" إلى توجيه طلبي ثانٍ" أسأل"؛ ليقانع فعله الطلبي النَّاهي مقانعة عقليَّة؛ ليترك للمرسل إليه مساحة تبصر وتدبر؛ إذ يدخل المرسل إليه في إطار المحتمل جوازات ممكنة، لكن مآبتها الاستجابية تتغاير بتغاير احتمالاتها؛ وباستعراض الاحتمالات والنَّتائج تكتسب الحُجَّة قالبها المنطقي الرياضي؛ الذي يفيد منه المحاجُّ بلوغ نتيجة محددة "لا تحزن"، حسمها المرسل إليه بنفسه في الظَّاهر متفاعلا مع سلسلة الاستجوابات، لكنها في الواقع ما هي إلا إرغام ضمني تداوليٌّ يستدرج المرسل إليه لإنتاج مقصد المرسل.

وإذا ما انتقلنا من الحجج شبه المنطقيَّة إلى **الحُجَج المؤسَّسة على بنية الواقع**، التي تتأسَّس صورتها المقانعة من اتّصالها بعناصر الواقع مرجعا، بنى وأسَّس سلطة تقويميَّة تأثيريَّة، لها قيمتها الحجاجيَّة في النفوس[49:13].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وهذه الحجج نوعان: اتّصال تتابعي، واتّصال تواجدي، الأوّل: يكون بين ظاهرة ما ونتائجها أو مسبباتها، وأمّا الثاني: فهو الاتّصال التّواجدي، ويكون بين شخص وأعماله، وبشكل عام يربط بين الجوهر وتجلّياته، ولكلٍ منهما أشكال[13:49-54].

ومن أشكال الحجج التتابعيَّة **الحُجَّة السَّببيَّة**، وقد جعلها (بيرلمان) على ضروب ثلاثة، فهي إما حجج تهدف إلى الرَّبط بين حدثين متتابعين بواسطة علاقة سببيَّة، أو حِجج تهدف إلى الكشف عن الأسباب المؤدّية لوقوع حدث معين، أو حجج تهدف إلى التكهُّن بما سينتج عن حدث ما من نتائج [13:49-50].

ومن أشكال الضرب الأوّل ما جاء في "إن فقدت جَارحة من جوارحك، فقد بقيت لك جوارح"؛ إذ يعلّق على أبيات لابن عباس وبشار بن برد رضيا فيها بالعمى تسليما وإيمانا، وأبيات لصالح بن عبدالقدوس يبكي العمى يأسا وقنوطًا؛ إذ يقول: « انظر إلى الفرق بين كلامِ ابنِ عباسٍ وبشّارٍ، وبين ما قاله صالح بن عبد القدوس لمَّا عمي...إن القضاء سوف ينفذُ لا محالة، على القابل له والرافضِ له، لكنَّ ذاك يؤجر ويسعد، وهذا يأثم ويشقى...» [3:189- 190].

يستجمع المحاجُّ من الأحداث حدثًا حجاجيًّا صنعه بواسطة الربط بين جملة من الوسائط السَّرديَّة والشّعريَّة؛ ليظفر بتوجيه تأثيري وإقناع عقلي، حرص على ذكره صراحة في استجلاء الفرق بين الحالين والمآلين؛ موجها فاعلا استثمر أثرا وربط سببا، فاستحصل نتيجة شكلها على أحداث واقعية، بنى عبرها حجَّة سببية، قوامها العقل المتصرف في الهيئات والمشاهد؛ فوصل بالمرسل إليه مبلغا يغير معه موقفا، ويتحصل معه موافقة.

ويكثر الضَّرب الثاني في (لا تحزن)؛ إذ يقول:«من أسباب السَّعادة...مقومات السَّعادة...ومن سعادة العبد...»[3: 204-206]، ومنها أيضا: « من أسباب الكدر والنكد مجالسةُ الثقلاء...»[3:260-261]، ومنها أيضا: «لا تحزن، فإن هناك أسبابا تسهل المصائب على المصاب، منها...»[3:135-136].

لمَّا كانت غاية المحاجّ غاية توجيهيَّة تقويميَّة، اعتمد على هذا الشّكل الحجاجي السببي المباشر، الذي ربط بين الظّاهرة السُّلوكيَّة وأسبابها؛ وهذه التّقنية الحجاجيَّة محكومة باستظهار الأسباب استظهارا مباشرا؛ ولعلَّ الاستظهار يتلاءم ومقام التقويم والتوجيه؛ وهذا لا يعني انعدام الصورة الإجرائيَّة التي تعتمد النمط الإجرائي الذي يراكب صورا حجاجيَّة يصل منها إلى نتيجة مراده؛ إذ لها فاعليتها وقيمتها في إقامة الحجَّة على المرسل إليه؛ الفرق بينهما أنَّ الأولى دور المرسل إليه في إطار التلقي، أما الثانيَّة فيخرج من هذا الإطار إلى إطار التّفاعل والاستنتاج؛ وكلاهما يتمثّل هدف الإقناع والتّأثير.

ويكثر أيضا الضَّرب الثالث في (لا تحزن)؛ بل لعلها أسَّست فعلها التّوجيهي الناهي على هذا التَّصور؛ بما سيؤول إليه حال المحزون وفي مقابل حال السَّعيد قوله: «لا تحزن؛ لأنَّ الحزن يزعجك من الماضي، ويخوفك من المستقبل، ويذهب عليك يومك، لا تحزن؛ لأنَّ الحزن ينقبض له القلب، ويعبس له الوجه، وتنطفئ منه الروح، ويتلاشى معه الأمل، لا تحزن؛ لأنَّ الحزن يسرُّ العدوَّ، ويغيظُ الصديق، ويُشمت بك الحاسد، ويغيّر عليك الحقائق...»[3:169].

يصنع من الفعل التّوجيهي (لا تحزن) معطى طلبيًّا، ويصانع له قيمة حجاجيَّة بواسطة تتبع النَّتائج، التي يسعى عبر ها تيقن المرسل إليه بتلك النَّتائج، التي يؤسس عليها شرعية عقليَّة لفعله الطلبي؛ فإذا كان في الطلب سلطة، إلا

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

أن في النّتائج استمالة عقليَّة تحدث أصرا يقرب المسافات بين المحاج والمرسل إليه؛ تخفيفًا من حدَّة لغة الاستعلاء الطلبي.

ومن أشكال الحجج التتابعيَّة **حُجَّة التَّبذير**، وهي حجَّة تقوم «على الاتّصال والتّتابع دون اعتماد على السَّببيَّة»[13: 50]؛ والمحاجُّ يتوكأ لدعم الفعل الطلبي (لا تحزن) على **هذه الحُجَّة توكُّأً جليًّا**؛ إذ يربط الحدث السَّردي بآيات قرآنية، وأبيات شعريَّة، وأمثال وحكم...ويداخل بين الأزمنة ما بين حدث تاريخ وآخر معاصر، ويوسع دائرة الحجاج، فلم تعد المواضع مأخوذة من المخيال العربي والإسلامي فقط، وإنما توسَّعت لتشكّل خطابا حجاجيًّا يفيد من غير العرب وغير المسلمين ؛ تمكينا للقصد، وانسجاما مع التَّوجيه في استقطاب واقع جديد، سعى المحاجُّ إلى رسم ملامحه، وإقامة أصله على تعدد صورة الحجاج واختلاف منابعها؛ ليتسلّح بقوَّتها في اختزال المواقف التأثيريَّة، وصناعة المقامات الحجاجيَّة، إذن هذا الاتكاء مؤداه الإستراتيجي تعميق الإقناع بالفعل الطلبي (لا تحزن)؛ لذلك أصبحت اللُّغة الحجاجيَّة هي اللُّغة التي تدعم الطلب، وتبرهن شرعيته، مراعية إلى جانب ذلك مقادير الأحزان المرتسمة في النُّفوس، وتغاير أشكالها، واختلاف معتقدات المرسل إليه وتباين خلفياتهم؛ لذا استثمر المرسل: كلَّ التّقنيات الحجاجيَّة، والأساليب البلاغيَّة، والحجج اللّسانيَّة، التي اشتغلت في إطار دعم وتثبيت المعنى، وإقامة الحجَّة، فلم تعد استطرادا يحشو، أو إسرافا يغلو، وإنما آثار تعمل؛ لتصيب فعلا، وتحقّق يقينا.

ومن أشكال الحجج التتابعيَّة **الحُجَّة البراغماتيَّة أو النَّفعيَّة**، وهي حَجَّة: « تختزل قيمة السَّبب في قيمة نتائجه»[18: 163]، من الشّواهد عليها قوله: «فالحزن ليس بمطلوب، ولا مقصود، ولا فيه فائدة، وقد استعاذ منه النبيُّ – صلى الله عليه وآله وسلم – فقال: "اللهمَّ إني أعوذ بك من الهمِ والحزن"، فهو قرين الهم، والفرق بينهما: أن المكروه الذي يرد على القلب إن كان لما يستقبل يسمّى أورثه الهمَّ، وإن كان لما مضى أورثه الحزن، وكلاهما مضعفٌ للقلب عن السير، مفتّر للعزم...»[3: 73–74]، وقوله: «وقارنت بين إحياء علوم الدين وبين الصحيحين للبخاري ومسلم، فبان البون، وظهر الفرق، فذاك عنتٌ ومشقةٌ وتكلف، وهذان يسر وسماحةٌ وسهولةٌ، فأدركت قول الباري:"ونيسرك لليسرى"»[3: 419].

على أساس التّقييم واستجلاء النّتائج يصنع الحجاج، وهذا هو المطلب، وغاية المحاجّ في (لا تحزن)، فلا زال مشغولا بفعلي التقويم والتوجيه والهدم والبناء؛ إذ يستثمر المحاجُّ المواضع الحجاجيَّة فيوجهها، وجهة تداوليَّة برغماتيَّة تخدم قصدا، وترسخ رؤية نقديَّة، تجيز التوجيه الطلبي إجازة حجاجيَّة، تضمن للخطاب إنجاز التقويم والتوجيه، والهدم والبناء.

حُجَّة الاتجاه من أشكال الحجج التتابعيَّة، وهي حجَّة تتصل بمحاذير الخطاب التي يختزلها باؤه؛ حتى لا تفقد النَّجاعة، ولا يضيع الفعل[13: 333]،[1: 154]، من ذلك قوله: «كاد المهاتما غاندي– الزعيم الهنديُّ بعد بوذا– ينهار، لولا أنه استمدَّ الإلهام من القوة التي تمنحها الصلاة، وكيف لي أن أعلم ذلك؟ لأنَّ غاندي نفسه قال: لو لم أصل لأصبحت مجنونا منذ زمن طويل. هذا وغاندي ليس مسلما، وإنما هو على ضلالة، لكنه على مذهب:﴿ **فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾...»[3: 183]، من ذلك أيضا قوله: «ذكرتْ جريدة "الشرق الأوسط" في عددها بتاريخ: ١٤١٥/٤/٢١هـ، نقلا عن مذكرات عقيلة الرئيس الأمريكي السابق "جورج بو" : أنَّها حاولت الانتحار أكثر من مرة، وقادت السيارة إلى الهاوية تطلب الموت مظانَّه، وحاولت أن تختنق... إنَّ المسلم لا يقدم على مثل هذه

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

الأمور، مهما بلغت الحال، إنَّ ركعتين بوضوءٍ وخشوعٍ وخضوعٍ كفيلتان أن تُنهيا كلَّ هذا الغمِ والكدرِ والهمِ والإحباط، ﴿ **وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى**﴾...»[280:3].

ينظم المحاجُّ خطابه الحجاجي في إطار التوجيه الصَّريح، الذي يجزم تحذيرا، ويكاشف تحصينا؛ بترا لأي تأويل فاسد، أو تخريج خاطئ، يدخل المحاجُّ في منعطفات مجهولة، قد تضلل المرسل إليه، أو حسما لأي ثالب قد يثلب الحجَّة وصاحبها؛ من هنا ضمن للحجاج نجاعة، وللفعل أثرا، في إطار يقطع ويجزم بعيدا عن المضللات والتَّأويلات، وهذا يظهر في النموذجين على ثلاثة مستويات في قوله:" وكيف لي أن أعلم ذلك؟ لأنَّ غاندي نفسه قال..."، والثاني:" ذكرت جريدة "الشرق الأوسط" في عددها بتاريخ: ١٤١٥/٤/٢١هـ، نقلا عن مذكرات..."، ولعلَّ مقتضى تحديد مصدر الحجَّة يتصل بمحاذير يختزلها المحاجُّ؛ خشية أن تنقض الحجَّة، ويشك بمصدره، فهو بهذا يحصنها، ويؤمن لها مسالك عبور، وضمانات قبول في نفوس المتلقين.

وعلى المستوى الثاني تظهر حجَّة الاتجاه في قوله: "هذا وغاندي ليس مسلما، وإنما هو على ضلالة، لكنه على مذهب..."، وفي الثاني:" إنَّ المسلم لا يقدم على مثل هذه الأمور، مهما بلغت الحال".

فكانت حجَّة الاتجاه في الأوَّل ردا وتقويما لأي ثلب قد ينال الحجَّة، والثانية توجيها وتقويما؛ ليغلق منافذ الحجَّة استدراكا يفرضه طبيعة الموضوع "الانتحار".

ويتجلى المستوى الثالث عبر توظيف الشَّواهد القرآنيَّة؛ إذ تجاوز توظيفها كحجَّة مقدَّسة إلى إنجاز وظيفة أخرى لها علاقة بمحاذير الخطاب؛ إذ يستثمرها ليضاعف درجة التَّصديق، بوصفها سلطة تحسم وتجزم، فيصادق بها تخريجاتها التَّوجيهيَّة، وآلياته الحجاجيَّة؛ ويقطع كل قول قد يطال نوع المادة الحجاجيَّة المنفتحة في مادتها على معرفة عالميَّة، تفيد منها في صناعة الحجاج واقتضاء الإقناع.

هنا ينتهي الكلام عن الحجج القائمة على الاتّصال التَّتابعي، وننتقل إلى استعراض الحُجج ذات الاتّصال التَّواجدي، ومن أشكالها **حُجَّة الشَّخص وأعماله**، ومن مفرداتها، فهي تتصل بالشَّخص وأعماله؛ إذ يعدُّ: «منشئا لأعمال وأحكام معينة، وكذلك هو موضوع تقويم من قبل الآخرين في ضوء تلك الصفات والأعمال والأحكام»[13: 51].

تتباين توظيف هذه الحُجَّة تبايناً بحسب المقصد الحجاجي؛ إذ نراه يستثمر: الأنبياء، والأصفياء، وآل البيت، والصحابة، والتَّابعين، والخلفاء، والملوك، والرؤساء، والوزراء، والزُّعماء، والعلماء باختلاف تخصصاتهم...؛حتى أننا نجد شخوصا عامَّة يشكّها تشكيلاً باعتماد المعتقد الدّيني، فيقول: الكافر والمسلم وما يرتبط بهما من سلوكيات وأعمال تنطلق من عقيدة وشَريعة، ورغم أنَّ المحاجَّ من أهل الأثر والسَّلف إلا أنه يوسع نطاق الشَّخص وأعماله، فنجد الرئيس الأمريكي...والزعيم البوذي، والعالم الروسي...و الدكتور صموئيل جونسون...لا تنحصر قيمة الفاضل والمفضول على أساس المعتقد وكفى، بل على أساس الأقوال والأعمال؛ إن المحاجَّ يراعي طبيعة الجمهور المتلقّي المتباين فكريًّا وعقديًّا؛ لذا رام أن يكثّف استحضار الشُّخوص؛ سياسة تداوليَّة يتنوع معه هدف الحجاج، ما بين هدف: ديني، أو وعظي، أو تأملي، أو علاجي، أو تحفيزي...؛ ويفيد منها طاقة حجاجيَّة فاعلة، رسمت للكتاب عوالم ممكنة، ضمنت له التداول والانتشار؛ ولعل المحاجَّ قد نصَّ في مقدّمته ألا يستهدف الجمهور المسلم؛ إذ يقول: « إنني أخاطب فيه الجميع، وأتكلم، فيه للكل، ولم أقصد به طائفة خاصة، أو جيلا بعينه، أو فئة

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

متحيّزةً، أو بلداً بذاته، بل هو لكلّ من أراد أنْ يحيا حياة سعيدةً»[30:3]، ولعل هذا ما ساعد على الانتشار الواسع للكتاب متجاوزا القارئ العربي إلى غيره من القرّاء؛ حيث ترجم الكتاب إلى عدة لغات، حسب ما نصَّ صاحب الكتاب في منصة "إكس"[23].

وختاما لهذه الفقرة نؤكّد أنَّ المحاجَّ يفيد من هذه الدورة الخطابيَّة الحجاجيَّة المتكاملة هدفاً تداوليًّا ضمنيًّا، يضمن بهما لنفسه صفة الموسوعيَّة العلميَّة الموجبة للتقدير والإعجاب.

يردف الحجَّة السَّابقة في المركزيَّة الحجاجيَّة حضورا **حُجَّة السُّلطة**، فمازال المحاجُّ مشغولاً بصناعة خطاب حجاجي، يضمن له فعل التَّداول والتَّعاطي والاشتهار، وتحصيل الاقتناع، وإنتاج البرهان، مع مراعاة اختلاف المعتقدات والعقول والميول للجمهور المتلقي؛ فنجده يستقطب السُّلطة الدّينية، يمثّلها الشريعة والكتاب المقدَّس والأنبياء وأصحابهم السَّلف...وما اتصل بهم من قول أو فعل، ويستقطب وجوهاً أخرى لها قيمتها السُّلطوية في المتلقي، كالسُّلطة العلميَّة، والسُّلطة المعرفيَّة، والسُّلطة السياسيَّة، والسُّلطة التَّاريخيَّة، أو السُّلطة الأدبيَّة...وعلى وقع سلطانها يوقّع اتفاقيَّة نجاعة الحجاج، وضمانة نافقة الخطاب.

ومن أشكال الحجج الاتّصال التَّواجدي **حُجَّة الاتِّصال الرَّمزيّ**، وقيمتها الحجاجيَّة تتأسَّس على الانتقال من الرَّمز إلى ما يرمز إليه، وهي تعتمد على ما تثيره هذه الرُّموز من أحاسيس وعواطف، تمثلها العلاقة بين الرَّمز والمرموز إليه [53:13]، ومن الأمثلة عليها في (لا تحزن) «أنَّ من تعلّق بغير الله من مال أو ولد أو منصب أو حرفة، وكله الله إلى هذا الشيء، وكان سبب شقائه وعذابه ومحقه وسحقه .... فرعون والمنصب، قارون والمال، وأُميَّة بن خلف والتجارة، والوليد والولد: ﴿ **ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا**﴾ أبو جهل والجاه، أبو لهب والنسب، أبو مسلم والسلطة، المتنبي والشهرة، والحجَّاج والعلوُّ في الأرض، ابن الفرات والوزارة...» [3:206-207].

يحاج المحاجُّ لمقدّمته الحجاجيَّة الدائرة في فلك التّعلق بغير الله عبر استدعاء جملة من الرُّموز المكثفة والقرائن الحجاجيَّة المتتالية، وهذا التّكثيف الرَّمزي يفيد منه المحاجُّ في التَّواصل الضمني مع كفايات المتلقي؛ ليؤطر العلاقات، ويستنتج الدلالات، بناء على سابق معرفة بهذه الرُّموز، وبعد هذه العملية الإجرائيَّة التي فككت وركبت واستنتجت، يضمن المحاجُّ تفاعل المتلقي شعوريًّا مع تلك الرَّموز، وإقامة الحجَّة عليه، واستجلابه إلى مرتبة الاقتناع، بعد أن فحص نظر واستنتج.

وننتقل إلى استعراض **الحجج المؤسِّسة لبنية الواقع بعد أن فرغنا من استعراض** الحجج ذات الاتّصال التَّواجدي، و**الحجج المؤسِّسة لبنية الواقع** من مفرداتها يتضح أنّها تعتمد عناصر الواقع، لا استثمارا يستدعي، بل تتجه إلى تأسيس الحجج منه في إطار خدمة المقصود الحجاجي[17:194]، وهذا التَّأسيس يكون عبر تمثّل جملة من الوسائط، وجمع من الحالات الخاصَّة التي تسترسل بالصناعة الحجاجيَّة أقصى مراتب التأثير والتّوجيه، الحالات الخاصَّة عند مناطقة الحجاج أصناف، أهمها: المثل، والشّاهد، و حجَّة الأنموذج وعكسه، والاستدلال بالتّمثيل[1: 165].

يستدل **بالمثل** في الحالات التي لا توجد فيها مقدّمات، و يقتضي تفعيله في المقام الحجاجي وجود بعض الخلافات في شأن القاعدة الخاصة التي جيء بالمثل لدعمها و تكريسها [13:54]، ومن نماذج توظيفها في (لا تحزن) قوله: «ربَّ ضارة نافعةٌ... ألف ابن الأثير كُتبه الرائعة، كـ"جامع الأصول"، و"النهاية"، بسبب أنه مقعد،

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وألف السرخسي كتابه الشهير "المبسوط" خمسة عشر مجلداً؛ لأنه محبوسٌ في الجُبّ!، وكتب ابن القيم "زاد المعاد" وهو مسافر!، وشرح القرطبيُّ "صحيح مسلم "وهو على ظهرِ السفينة! وجلُّ فتاوى ابنِ تيمية كتبها وهو محبوس! ...»[3:180-182].

يستثمر المحاجُّ المثل بوصفه قاعدة حجاجيَّة، تدعم وجهته التخاطبيَّة التي تسعى إلى النَّهيِ عن الحزن؛ ليلج منها إلى تجارب الآخرين أدلة حجاجيَّة مكثفة يدعمها المثل، وتدعمه اشتقاقا ومؤازرة وتخريجا وجوازا، وعلى أثرهما يترسخ المقصود الحجاجي، ويصيب الهدف برهنة إقناعيَّة.

وإذا كان المثل يستحضر للبرهنة وتأسيس القاعدة، وعادة يكون سابقاً للقاعدة، فإنَّ الشَّاهد يكون لاحقاً؛ قصد تقوية حضور الحجَّة، وقصد جعل القاعدةَ المجرَّدة محسوسة وملموسة[13:55]، وهذا ما تحقق في (لا تحزن)؛ إذ يعتمد التَّوجيه، وعلى أثره يقتص الشَّواهد إقناعا ومقانعة.

ويحضر الشَّاهد في (لا تحزن) حضورا لافتا؛ بهدف إصابة الإذعان، وتحصيل اليقين؛ فالشَّواهد ما هي إلا صورة لتجارب الحياة، تختلف باختلاف: فواعلها، وأزمنتها، وأشكالها، ونهاياتها، وعقائد أصحابها، وهذه التَّجارب اعتبرها المحاجُّ حجَّةً قاطعةً في البرهنة على مقصوده الحجاجي؛ بها يدفع المتلقي إلى تقليب النَّظر، والتَّباحث حول اختلاف الأفعال، وتباين المواقف وتضاد النَّتائج، ويدعم هذا بذاك على اختلاف أشكال الشَّواهد، فنراه- مثلاً- يدعم السَّرد القصصي بآيات أو أحاديث أو أبيات شعريَّة أو مثل أو حكمة أو سرد آخر...؛ وبهذا يظفر من الشَّاهد حجَّة يزكيها بأخرى؛ ليضخم بموجبه الفعل الحجاجي الإقناعي، ولعل التضخيم مراده مراعاة الحالة النَّفسية التي تستأنس بتجارب الآخرين وخلاصتها، فيصيب إمتاعا ومؤانسة وتأثيرا وإقناعا، وأنَّ في تكثيفها وتتابع تعقبها تهوينا يقلّل على أثره وجوه الحزن.

ومن الحالات الخاصة التي بواسطتها يؤسَّس للواقع **حُجَّة الأنموذج وعكس الأنموذج**، ومدار هذه الحجَّة المفهومي الأوَّل يقوم على كائن نموذج يستوجب الاقتداء به، وأمَّا مدارها الثاني فيكون الحضُّ، لا على الاقتداء بطبيعة الحال، وإنَّما الانفصال عن الشَّخص الذي يمثّل عكس النَّموذج [13:55-56].

وقد تأتي في إطار فردي يعتمد مصانعة نموذج يحقّق به المقصود الحجاجي، من ذلك ما جاء في: «وكثير من أذكياء العالم وبحور الشريعة أصابهم العمى، كابن عباس، وقتادة، وابن أم مكتوم، والأعمش، ويزيد بن هارون. ومن العلماء المتأخرين: الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ عبدالله بن حميد، والشيخ عبدالعزيز بن باز. وقرأت عن أذكياء ومخترعين وعباقرة عربيين كان بهم عاهات، فهذا أعمى، وذاك أصمُّ، وآخر أعرج، وثانٍ مقْعد، ومع ذلك أثروا في التاريخ، وأثروا في الحياة البشريَّة بالعلوم والاختراعات والكشوف...» [3:273]، يعتمد هنا المحاجُّ على الأنموذج؛ ليولّد القيمة الحجاجيَّة لمقصوده "مرقب النقْص قد يكون مرقب كمال"، وعلى أساسها يتأتَّى التَّسليم والاقتناع.

وقد تأتي هذه الحجَّة في إطار البناء التَّقابلي الذي يستعرض به النَّموذجين، من ذلك ما جاء في قوله: "يا سعادة هؤلاء"، فيحشّد للمتلقي مجموعة من الأسماء "أبا بكر-عمر-عثمان-عليًّا-سعد بن معاذ-عبدالله بن عمرو الأنصاري" يمثّلون النموذج الأعلى، ويسند تزكية هذا النموذج بآيات قرآنية أو أحاديث نبويَّة، منها قوله: «أبو

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

بكرٍ– رضي الله عنه–: بآية: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۞ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾، عمر– رضي الله عنه–: بحديث: "رأيت قصرا أبيض في الجنة، قلت: لمن هذا القصر؟ قيل لي: لعمر بن الخطاب...»[3:434–435]، ويستتبع هذا الخطاب بقوله: "ويا شقاوة هؤلاء"، ويترسم خطاه السَّابقة فيحشّد الأسماء: "فرعون–قارون–الوليد بن المغيرة –أمية بن خلف–أبا لهب–العاص بن وائل"؛ ليمثّل بهم عكس النّموذج، ويسند الحكم الخبري إلى آيات قرآنية سطّرت لهم الشّقاء والعذاب، جزاء لكفرهم وعصيانهم.

وعلى أساس الجمع والمقابلة بين النموذج وعكسه، ومحاولة رفع سقف الحجَّة بمزكيات حجاجيَّة، أو استهجانات إثباتيَّة، يوصل دائرة الحجاج إحكاما وإغلاقا؛ لتترسَّخ الهيئات، ويوجه مسار الإقناع؛ انسجاما مع معنى السَّعادة والشّقاء؛ نتيجة أفعال وسلوكيات وعقائد وأعمال؛ فيدرك التَّأثيري ويصيب التّذكير؛ إذ إن هذه النّماذج بصورتيها مترسخة في مكتسبات المتلقي المعرفيَّة، ويسعفها المعتقد الدّيني، فيستجمع صورتها، ويصنع بها المفارقة؛ ليخدم الهدف والغاية من الجمع والمقابلة.

وقريبا من هذا حجَّة التَّضحية، وتتمثّل في: «إثبات قيمة شيء أو قضية معينة بواسطة التَّضحيات التي قدمت وستقدم من أجلها»[22:199]، وقد اعتمد المحاجُّ هذا النَّوع من الحجج استجلاء يدرك به جواهر الحياة وبعض اشتراطاتها؛ لنعيش سعداء فيها؛ وبهذا يأسر المتلقّي ويقانعه مقانعة ضمنية، يحرص معه على تحقيق المرامي، وإدراك القصد في تحمل مشاق الحياة صبرا ورضا، من هذا قوله: «وعثمان بن عفان ذُبح وهو يتلو القرآن، وذهبت روحه ثمنا لمبادئه ورسالته، وعلي بن أبي طالب يغتال في المسجد، بعد مواقف جليلة ومقامات عظيمة من التضحية والنصر والفداء والصدق...»[3:576].

ومن ضروب الحجاج في الحجج المؤسّسة لبنية الواقع **الاستدلال بواسطة التَّمثيل**، وهو يعني:«تشكيل بنية واقعيَّة تسمح بإيجاد أو إثبات حقيقة عن طريق تشابه العلاقات»[21:200].

ويفترق الاستدلال بالتمثيل عن الاستدلال بالمثل والشّاهد؛ إذ يشترط في استدلال التَّمثيل اختلاف ميداني الموضوع والحامل، فإذا كانت العلاقة بينهما تنتمي إلى مجال واحد، وتشملهما بنية واحدة، لم تسمَّ التّقنية الحجاجيَّة تمثيلا، وإنما هي استدلال بواسطة المثل أو الاستشهاد، بحيث يكون الموضوع والحامل ههنا حالتين خاصَّتين تؤسّسان قاعدة أو تدعمانها [13:58].

ومن نماذجها في (لا تحزن) قوله: «ينام المعافى على صخر كأنه على ريش حرير، ويأكل خبز الشعير كالثريد، ويسكن الكوخ كأنه في إيوان كسرى... كُنْ مثل الطائر يأتيه رزقه صباح مساء، ولا يهتمُّ بغد، ولا يثق بأحد، ولا يؤذي أحدا، خفيف الظل رفيق الحركة...» [3:535–536].

يصنع المحاجُّ الحجَّة في إطار التشبيهات؛ إذ يقيس هيئة على أساس أخرى قياسا خياليًّا يؤهّل لصنع علاقات قياسيَّة حجاجيَّة، لها دورها في التَّبليغ وتطويع فعل الإقناع، وذلك عبر جعل المتلقّي عنصرا فاعلا في هذه العملية؛ إذ يباشر هذه العلاقات نظرا، ويكاشف مآلاتها برهانا، فيغدو محكوما بنتائجها اقتناعا، فالصورة إذن: «كلام نصفه وهو المصرح به من صنع النَّص أو المتكلّم، ونصفه هو الضمني من صنع المتلقّي»[12:562].

وبانتقالنا للطرائق الانفصاليَّة نغلق آليات الحجاج بحسب "بيرلمان"، والمراد بهذه الطّرائق: «التّقنيات المستخدمة

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

لغرض إحداث القطيعة، وإفساد اللُحمة الموجودة بين عناصر تشكّل عادة كلًا لا يتجزأ أو على الأقل كلًا متضامنة أجزاؤه في نطاق نظام فكري واحد، فوفق هذه الطرائق يحدث فصل داخل المفهوم الواحد؛ بملاحظة انعدام الانسجام بين العناصر المكونة له، وبحمل أعراضه على جوهره، ومحاكمة ظاهره في ضوء حقيقته»[324:12].

ومن النّماذج عليها في "لا تحزن": «ارض عن الله– عزَّ وجلَّ– من لوازمِ: "رضيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام دينا، وبمحمد– صلى الله عليه وآله وسلم– نبيا" أن ترضى عن ربك– سبحانه وتعالى–، فترضى بأحكَامه، وترضى بقضائه وقدره، خيره وشره، حلوه ومره. إن الانتقائية بالإيمانِ بالقضاء والقدرِ ليستْ صحيحةً، وهي أن ترضى فحسب عند موافقة القضاء لرغباتك، وتتسخّط إذا خالف مرادك وميلك، فهذا ليس من شأنِ العبد...هذا إذن إسلام الهوى، وإسلام الرغبةَ للنفس. إن هناك أناسا يرضون عن الله– عزَّ وجلَّ–؛ لأنهم يريدون ما عند الله، يريدون وجهه، يبتغون فضلًا من الله ورضوانا، يسعون للآخرة...»[473:3].

تقوم الحجَّة هنا على مبدأ الفصل، حجَّة تكاشف المعتقد قولًا وفعلًا؛ إذ تأتي المقّدمة التّوجيهيَّة استلزامية بما يضمن استبعاد الحزن والهم والكدر، يضمنه بحجَّة فصليَّة، أقام فضاءها على أساسٍ وردٍ يردده المسلم كثيرا: "رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا"، مستحضرا استلزامات هذا الورد قولًا وعملًا، ثم يستحضره مرة أخرى ليبين وجها آخر لم يتجاوز فيه الورد اللّسان، ولم يصل إلى الجنان؛ ليتخذها قاعدة حجاجيَّة يقيم بها مسألة الحسم في الرضا عن الله، ضمن إطار الظّاهر والباطن، القول والعمل، وهذا الفصل والاختبار والمكاشفة– تقنية إستراتيجيَّة تحمل طاقة حجاجيَّة، تستوجب على المتلقي الإذعان والطّاعة، أبيات شعريَّة–استجلاء مواقف..." تضاعف من قيمة الفصل، ويستتم بها إقامة سلطان التّأثير، واستتباع مفعولات المكاشفة.

ومن نماذجها أيضا: وإعادة النّظر، ومراقبة الفعل، وموافقته للقول، وبهذا يضمن المحاجُّ إقناع المتلقي، وإصابة المراد من الحجاج، وقد زاد من قيمتها عبر آليات حجاجيَّة "الآيات القرآنيَّة–سرد أحداث–

«فطرة الله. إذا اشتدَّ الظلام، وزمجر الرَّعد، وقصفت الرح، استيقظت الفطرة: ﴿**جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾، غير أنَّ المسلم يدعو ربَّه في الشدَّة والرخاء، والسراء والضراء : ﴿ **فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ۞ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾. إنَّ الكثير يسأل الله وقت حاجته، وهو متضرعٌ إلى ربه، فإذا تحقق مطلبه أعرض ونأى بجانبه، والله– عزَّ وجلَّ– لا يلعب عليه كما يلعب الولدان، ولا يخادع كما يخادع الطفل: ﴿**يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ**﴾. إنَّ الذين يلتجئون إلى الله في وقت الصَّنائع ما هم إلا تلاميذٌ لذاك الضال المنحرف فرعون، الذي قيل له بعد فوات الأوان »[283:3–284].

يستشرف المحاجُّ البواطن، ويختبر الأفعال بعد فحص المعطيات، انطلاقًا من مقدّمة حجاجيَّة "فطرة الله"؛ ليجرد من هذه المكاشفة قاعدة عقديَّة، تكفل للمتلقي استبانة الحدّ الفاصل بين المؤمن وغير المؤمن؛ إذ يستجلي دور الفطرة في التعلق بالله عند الشّدائد فقط، ويسرد لهذه قصة تبين دور الفطرة في هذا، في حين أنَّ المؤمن مع الله دائما وأبدا؛ وبالتجريد والمكاشفة وفصل المواقف يثير انفعال المتلقّي؛ ليقوم نفسه، ويعيد حساباته تقويما، ويستنطق باطنه وظاهره تحويلًا وتبديلًا، سيما أنّه هو المستهدف من المكاشفة الحجاجيَّة، وبعد المكاشفة وتميز الحقائق يضمن المحاجُّ بلوغ مرامي الإقناع وإصابة الهدف. ونلحظ هنا حرص المحاجِّ في هذا المقام على استثمار علامات حجاجيَّة تأثيريَّة (لآيات، فرعون، السَّرد القصصي، التّفسير)، من استلزاماتها حجاجيَّة مضاعفة الطّاقة الإقناعيَّة تضخيما وتنفيرا

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وتهوينا.

4. الخاتمة

إنَّ نسقيَّة الخطاب الحجاجي في (لاتحزن)– اعتمدت التّحاور في إطار الاستيصاء جنسا تخاطبيًّا يرسم مقامات التّواصل، ويضبط أفعال التّوجيه، ويصنع سلطة للمحاجِ، سلطة إمرة بها: يقوم، ويوجه، ويطلب، وينهى، ويحاجج، ويقانع، وقد تشكلت أفعال التّحاور التّخاطبيَّة من العنوان عتبة أولى، وإلى عناوين النص الدَّاخليَّة عتبة ثانيَّة، وقد أطر بهذه العتبات مقاصد الحجاج؛ بوصفهما مقدّمات ومنطلقات حجاجيَّة، واستبطن الخطاب أفعالاً تحاوريَّة، ضبطت غاية، ووجهت مسارا، وقيدت صورة، وفعَّلت تواصلاً.

وقد قادنا التّحليل إلى الوقوف على أهم الآليات الحجاجيّة التي تنوعت طرائقها وتقنياتها، ما بين حجَّة اعتمد البنى شبه المنطقيَّة أو الرياضيَّة، وحجَّة استثمرت عناصرَ الواقع، إفادة منه أو تأسيسا عليه، وحجَّة انفصاليَّة كاشفت وبرهنت، وهذا يؤكّد حرص المحاجّ على استقطاب الطاقات الإقناعيَّة المختلفة شحذاً وتكثيفا؛ فصيرها قيما فاعلة، تنجز فعل التّحويلَ والتّبديل، وتضمن الإقناع والتّأثير.

CONFLICT OF IN TERESTS
There are no conflicts of interest

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

[1] علي الشّبعان. **الحِجَاج والحَقيقة وآفاق التّأويل (بحث في الأشكال والإستراتيجيَّات)**، ط1، بيروت، دار الكتاب الجديدة المتحدة، (2010م).

[2] آيات بنت حمد الخالدي، **مقاربة أسلوبية لقصيدة محمود درويش" تحدٍّ"**، http://www.iasj.net/iasj/article/303141 تاريخ الوصول 2024/2/28.

[3] عائض القرني، **لا تحزن**، ط1، الرياض، مكتبة العبيكان، (2002م).

[4] نبيل خالد رباح أبو علي، **نقد النثر في تراث العرب النقدي حتى نهاية العصر العباسي (656ه)**،(د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب،(1993م).

[5] عبدالله البهلول، **الوصايا الأدبيَّة إلى القرن الرَّابع هجريًّا– مقاربة أسلوبيَّة حجاجيَّة**، ط1، بيروت، صفاقس، الانتشار العربي ودار محمد علي للنّشر، (2011م).

[6] محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور، **لسان العرب**، اعتنى بتصحيحه: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، ط3، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، (1990م).

[7] د.عائض القرني، https://x.com/Dr_alqarneeF6D تاريخ الوصول: 2024/10/3.

[8] عبد الهادي بن ظافر الشّهري، **إستراتيجيّات الخِطاب مقاربة لغويَّة تداوليَّة**، ط2، عمَّان، دار كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع، (2015م).

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[9] خالد ميلاد، **الإنشاء في العربيَّة بين التركيب والدَّلالة- دراسة نحوية تداوليَّة**، ط1، تونس، منوبة والمؤسسة العربيَّة للتوزيع، (2001م).

[10] فيروز رشام، **ما تقوله العتبات النَّصيَّة**، مجلة جامعة أكلي محند أولحاج، الآداب واللغات، المجلد (11)، العدد (21)، (2016م).

[11] أحمد القادم، سعيد العوادي إشرافاً وتقديما، **التَّحليل الحِجاجي للخطاب "بحوث محكَّمة"**، ط1، عمَّان، دار كنوز المعرفة للنَّشر والتَّوزيع، (2016م).

[12] عبدالله صولة، **الحجاج في القرآن عبر أهمِّ خصائصه الأسلوبيَّة**، ط2، بيروت، منوبة، دار الفارابي وكلية الآداب والفنون والإنسانيات ودار المعرفة للنَّشر، (2007م).

[13] عبد الله صولة، **في نظريَّة الحجاج"دراسات وتطبيقات"**، ط1،تونس، مسكيلياني للنَّشر والتَّوزيع،(2011م).

[14] حمادي صمود وآخرون، **أهم نظريات الحِجاج في التَّقاليد الغربيَّة من أرسطو إلى اليوم**،(د.ط)، تونس، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانيَّة، (د.ت).

[15] سامية الدريدي، **الحِجاج في الشِّعر العربي- بنيته وأساليبه**، ط2، الأردن، عالم الكتب الحديث، (2011م).

[16] عبد اللطيف عادل، **بلاغة الإقناع في المناظرة**، ط1، بيروت، الرباط، منشورات ضفاف ودار الأمان ومنشورات الاختلاف، (2013م).

[17] عادل بن علي الغامدي، **الحِجاج في قصص الأمثال القديمة مقاربة سرديَّة تداوليَّة**، ط1، عمَّان، دار كنوز المعرفة للنَّشر والتَّوزيع، (2016م).

[18] شاييم بيرلمان، **الإمبراطوريَّة الخطابيَّة صناعة الخطابة والحجاج**، ترجمة وتقديم وتعليق: د.الحسين بنو هاشم، ط1، لبنان، دار الكتاب الجديد المتحدة، (2022م).

[19] إيدير إبراهيم، **القصديَّة في "الأدب الكبير" لابن المقفع- دراسة تداوليَّة**، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري تيزي وزو،الجزائر، مخطوطة.

[20] عامر الحلواني، **جماليَّة الموت في مراثي الشُّعراء المخضرمين "الخنساء-مالك بين الريب-أبي ذؤيب الهذلي قراءة أسلوبيَّة**، ط1، صفاقس، كلية الآداب والعلوم الإنسانيَّة، (2004م).

[21] محمَّد الهادي الطَّرابلسي، **تحاليل أسلوبيَّة**، (د.ط)، تونس، دار الجنوب للنَّشر، (1992م).

[22] عبدالعالي قادا، **بلاغة الإقناع "دراسة نظريَّة تطبيقيَّة"**، ط1، عمَّان، دار كنوز المعرفة للنَّشر والتَّوزيع، (2016م).

[23] عائض القرني، https://x.com/Dr_alqarnee/status/309650191219298304، تاريخ الوصول: 2024/10/2.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq